مدرسة تاجور

— ٢ —

لمحمود المنجوري

ليست المدرسة في رأي تاجور هي هذا المكان المحدود الذي أقامهُ بمدينة بلبور بالبنغال، ولكن المدرسة كما يراها تاجور هي العالم كله ، لان تاجور يعالج مدرسته على انها العالم الغير المحدود ، في حين انهُ يعالج العالم على انهُ أسرة محدودة في نطاق مدرسته ، ومن هنا استطاع أن يبشر بدعوته الى العالمية والى الانسانية ، وان يبعث رسالته شاملةً التفكير البشري ، شائعةً في مدرسته ، منبعثةً منها الى العالم جميعاً ، كأنَّ هذا العالم الواسع قد حُشدَ في نطاق تحت مجهره ، يرقبه ، فيرى الحقائق واضحة ، ويرى جرثومة الانانية تذوي في خلايا هذا الجسد المتداعي ، وفي قيم هذه المدنية ، على ما فيها من ذخر علمي وفكري ، كان يجب ان يسمو بالانسان الى مدنية فاضلة جامعة ، تدعو الى ازالة الحواجز والقيود التي صنعها الانسان بنفسهِ ، فقيد بها تفكيره وأذلَّ بها عنقه وأهدر بها انسانيته

فتاجور الذي يدعو الى محو الفوارق في الجنس واللون والقومية وازالة الحدود المعنوية بين الأوطان، لا يمكن ان تبقى تعاليمه محدودة في بناء مدرسته، ولهذا كان المعنى الشامل لمدرسة تاجور هي هذه القلوب العامرة بتعاليمهِ في جميع الاقطار. فتاجور معلم يعالج مشكلاتهِ وأمراضه من طريق الروح لانهُ يعتقد :

« إن الروح هي التي تلهم الانسان كل شيء وهي التي تبعث تفوقها على تاريخ الحياة البشرية » (١)

فأسلوبه مستمد من تعاليم الهند ومن العقائد الثابتة في كتاب « يوبانيشاد » المقدس ، فقيوبانيشاد ولتعاليم بوذا اكبر الاثر في تخريج تاجور وإلقاء روحه وانبرائها على المعاني السامية التي اراد التعبير عنها في مدرسته وكتبهِ ورحلاته — فتعاليم الروح ووحيها المتصل بالفكر هي مصدر أسلوبه في معالجة مشكلاتهِ ، وهو يتبع أسلوبه في حياته الخاصة ، ويبشر بهِ في عالمهِ وفي مدرسته ، لانه يعتقد

« ان الاسلوب الروحي لازم حياته ، وانهُ غير ضروري لحياة الآخرين من الناس » (٢)

على ان هذا لا يتناقض مع اتجاه تاجور نحو التجديد في الثقافة والفكر والنزوع بالمدنية نزعة انسانية خالصة

---

(١) و (٢) مقدمة كتاب سعد هار

وما دام اليوبانيشاد هو قاعدة من قواعد الثقافة الفلسفية والخلقية والدينية لتاجور ، فلا بد لنا من ان نُلمَّ بشيء من تعاليم هذا السفر المقدس ، وان نَبسُط الآراء الروحية والفلسفية التي حوتها تعاليمه ، باعتبارها أساسا ثقافيًّا في مدرسة تاجور وفي رسالته العالمية

« اليوبانيشاد »

« ليس لكلمة upanishads يوبانيشاد تفسيراً ظاهراً ، ولكن بعض العلماء الاوربيين يردون هذه الكلمة الى أصل كلمة sad المشتقة من الاصل اللاتيني كلمة sedeo بمعنى الجلوس الى او الدنو الى الفرس مثلاً »

واني لهذا استطيع ان أجد كلمة في اللغة العربية تؤدي هذا الأداء كاملاً صحيحاً ، وهي كلمة « مقامة » وجمعها « مقامات » وهي جلسات تعقد للعلم والبحث يستديرُ فيها الطلبة الى شيخهم فيحدثهم وهم جلوس اليه يستمعون ، وهذه الجلسات عرفت في الأدب العربي بالمقامات ، التي أُطلقت مجازاً على نوع من النصوص الأدبية كمقامات الحريري والزمخشري وغيرهما . ولهذا استطيع ان استعير كلمة « مقامات » لاطلاقها على « اليوبانيشاد » وهي أسفار مقدسة جمعت تعاليم الهند الفلسفية والروحية وعقائدها واساطيرها مكتوبة ، مقامةً مقامةً ، كل أمليت في جلسة من جلسات حكماء الهند قبل ميلاد المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة (١)

« فاليوبانيشاد أسفار حوت اصطلاحات دينية وفلسفية عن الروح « أتما » وعن القوة الدافعة المحركة لاتجاهاتها المختلفة من خير او شر « كارما » وعن الانسان « بيروش » والتفكير والادراك والشعور والارادة والجسد والحرارة والعقل والذكاء والمعرفة والحركة والسكون والانفلاك والاجرام والطبيعة وما حوت من قوى عقلية وكل من هذه وغيرها له أسماء خاصة تتصل بعضها ببعض ومرتبطة بحركة الروح وما يدفع الروح من قوة مدبرة تشرف عليها وتديرها وتحكم أمرها وتديرها ، وهم يسمون هذه القوة التي تصل الكائنات من انسان وحيوان وجماد بخالق الخلق « براهما » . فبراهما هي القوة الكائنة حقيقة في الله وفي النفس ، وهي التي ترتبط الكائنات بخالقها وتشرف على الارادة لتوجيه الوجود وهي في قلب الانسان تشعره بأنه هو العالم في قوته وعظمته » (٢)

هذه هي عقيدة البراهمة يرون الله موحداً في كل شيء ، في نفسهم وفيما حولهم من كائنات وآفاق ، ويرون الصلة بين الفرد والخالق ، وبينها وبين الكائنات ، حقيقة مطلقة تدبر الوجود ، وهم يؤمنون بوحدانية القدرة الخالقة ، ثم يرون ان هناك حقيقة قدسية أوجد بها الخالق هذا الوجود لحكمته العليا ومسرته وبهجه بالخلق والايجاد . هذه القدرة التي تربط العالم في وحدة كاملة هي (براهما) ذات التقديس الاعلى . ويُرَدُّ سفر اليوبانيشاد الى أسانيد ثلاثة اولاً ، حقيقة الشيء المحدود تخرج من الغير المحدود من براهما . ثانياً ، براهما هو جوهر الفكر

(١) Deussen : Philosophy of Upanishads

(٢) براهما-المعرفة : للدكتور طاغور Brahma-Knowledge

وهو الروح. ثالثاً ، براهما حقيقة واحدة لاتتغير في تفكير كل فرد وهي كائن مطلق مشرف على الروح « أتما »[1] او بعبارة أخرى يحتوي الوجود كما ينص التوحيد الاسلامي على ثلاثة عناصر: ناقص وكامل وتام، فالناقص ما خلق محتاجاً الى غيره مسخراً له كالجماد والحيوان، والكامل ما خلق ناقصاً عن درجة التام فهو مخلوق محتاج الى ما يحركه ويدفعه من قوة مستمدة من التام ، والتام ما لايحتاج في وجوده الى غيره لمخالفته في طبيعته وهو كائن بذاته وهو مصدر القوة والخلق للكامل والناقص وهو الله الواحد سبحانه

ويعدُّ الهندوس اليوبانيشاد احد الاسفار الاربعة التي تشمل تعاليم الفيدا (Vedas) أي المعرفة ، وهي « البراهماناس » و« أرانياكاس و« الفيداس »و« اليوبانيشاد » — وكل سفر من هذه يبحث في مطلب من مطالب الحياة والكون

على أن هذه الكتب تدعو جميعاً الى براهما . وتبشر بأن « العالم هو عقل الانسان وتفكيره وتأملاته » أو هو شخصية الفرد المتنبهة الكاملة

فادراك الفرد لشخصيته هو أساس لفهم العالم وأسراره وفي هذه المعاني يقول تاجور :

« إن شخصيتنا هي أول حق نبدأ ، نحن موجودون ، ذلك ما لاشك فيه . ويسير علينا أن نعرف أنفسنا اذا بحثنا في غورها ، ومعرفتنا أنفسنا تمرننا ، لكنها تفتح على هذه المعرفة في كثير من الاحيان ، مظاهر الاشياء المحيطة بنا والتي تأخذ على التفكير حقيقة وجودنا . لكن هذه الحقيقة تبدو لنا وتسعد بها اذا نحن أحببنا انساناً او شيئاً من الاشياء ، ذلك بأنا نرى أنفسنا في هذا الذي نحب ، ومن ثم كانت سعادة الحب ، ومن ثم كانت حرية الحب . وانك لترى نفسك أكثر ما تكون حرية اذا أحاط بك من تعرفهم من أهلك وأصحابك وتكون حراً حقاً اذا أحاط بك من تحب . فأما اذا أحاطك أجانب عنك فحريتك تحد وتنحسر في نفسك بضيق ممل

وكلما اتسعت أمامنا مدى الحب كنا به أكثر سعادة ، فليس الابن عزيزاً على أبيه لذاته ولكن لان الاب يرى نفسه فيه ، هو يرى فيه خلد حياته في الاجيال المقبلة. ويرى لذلك اتصاله بالاشياء أكثر دقة وانه لذلك يتغلغل في ادراك اللانهائية أكثر مما تغلغل من قبل

فاتصال الشخصية الفردية بالعالم وبالحياة هي أساس لفكرة الثقافة الروحية في عقائد الهند » (٢)

وفي الحق إن في اليوبانيشاد مباحث يجمل بالمشتغلين بالفلسفة ان يدرسوها دراسة مفصلة وان يعقدوا مباحث مقارنة بين هذه الدراسات وبين الآراء الغربية التي طلع علماء الغرب علينا بها ، وهي في الشرق موجودة مقررة في كتبه القديمة — فانك لتجد في هذا السفر المقدس بحوثاً روحية عن الشخصية المتنبهة والشخصية الغير المتنبهة . وعن الاحلام واليقظة واتجاه الروح في الحالين ، وعن النفس وقوة الارادة ومبلغ تأثير الارواح بعضها في بعض (المغناطيسية) وعن روح الفرد وروح العالم ، وما الى ذلك من ابحاث طريفة متصلة بعلم النفس كما نافشته نظريات (فرويد) أخيراً . ولكن مهما تكن هذه الابحاث ، فانها تمي

(١) Brahma-Knowledge Dr. Barnett (٢) من محاضرات تاجور بالقاهرة

وللباحث المتصلة بشخصية الفرد والشخصية الجامعة ، أو بعبارة اخرى كيف يشعر الفرد بشخصية كاملة شاملة العالم فقال :

« إن هذا العالم الذي يولد فيه الناس هو حقيقة ، ولكنها غير تامة ، لانه عالم زائل او متجدد على قدر تفكيرنا ونظرنا وقياسنا للاشياء ، هو كالرحم الذي يحتوينا في طور ما من أطوارنا فنحن عندما نخرج من الرحم نستقبل هذه الحياة فتحتوينا كرحم آخر كبير ، ولكنه لا يختلف عن الرحم الاول ، من حيث هو زائل أو متغير ، والحقيقة التامة هي ان يولد الانسان في حياة ثابتة لا تتغير ، في أحضان الشخصية اللانهائية التي لا تفنى . أما هذا العالم الذي نعيش فيه فهو عالم القوانين والمادة والقوة . وهذه عناصر يفنى بعضها بعضاً — ولن يجد الانسان حريته التامة في عالم أحيط بالقيود وعوامل الموت والفناء . والانسان لن يدرك معنى وجوده حقاً ، ولن يتمتع بالمباهج الروحية ، إلا اذا انفصل عن هذا العالم كما انفصل من رحم أمه أول مرة ، ودخل في عالم الشخصية التامة ، الذي يؤكد إيماننا في البقاء والخلود الروحي ، ولا تدركه عقولنا من طريق العلم المحدود . نحن لا نستطيع ان نعي هذه الشخصية الجامعة ، إلا عندما تنفصل من قيود الحياة المادية ، فعندما نشعر بالانفصال عن هذا الكون نشعر بالوحدة مع « الكل » . ولكننا قد ندرك معاني الانفصال أثناء وجودنا في هذه الحياة ، عندما تتصاعد مداركنا الروحية ، وتسمو عن عوامل الفناء ويقع هذا شعور بالوعي بالوحدة . ولهذا لا تصبح حياتنا محدودة بل تكون أكثر اتساعاً وأرحب نطاقاً لمدى الحرية والتفكير — ولن يدرك الانسان هذه الحقائق اذا عاش في حدود نفسه الخيرة أي اذا عاش حياة فردية تشرف عليها الانانية والانانة

وغاية الانسان هي ان يتحرر من قيود هذه الحياة الاولى ، وان يبعث الى حياة ثانية ، يجد فيها الامن والسلام الروحي — وسبيل هذه الحياة هي ان ينصرف الانسان الى الخير ويثير في نفسه دائماً عوامل السمو بأن يفكر ويفهم الحق وحده لا سواه فيه ، وان يثير ضميره ويقفي بوجدانه ، ويخلص نفسه من سجن أنانيته وشهواته — ويطلق النفس في سجية خيرة الى ساحة الحب ، حيث تسود الروح العالمية الواحدة التي تتحرر بتحرر واحد وتضم هذا الوجود كائناً موحداً في صميمها . ولن تحظى بهذه الشخصية الجامعة ، إلا بادراك الوحدة الروحية والاتصال بمركز الصلات جميعاً ، الاتصال بالحقيقة المطلقة ، وان هذا لهو غاية ما يتمنى الانسان

فاذا فقدنا هذه الشخصية الجامعة ، التي تروي روحها ، التماسكة بعناصرها الخيرة ، واذا تلاشت هذه الشخصية تساقط العالم إرباً متناثرة ، وأصبح أشتاتاً من أشياء مجردة لا قيمة لها ولا خير فيها . وتصبح للمادة والقوة والشهوات والمقولات وما اليها من عناصر المدنية ، قوى غير مؤتلفة لا يتصل بعضها ببعض ، فتتبار وتصبح رماداً لا خير فيه — ان الخير هو الصلة ، هو الحقيقة التي تدير لنا الشخصية العالمية الجامعة ، ويجب ان تتصل به عناصر الحياة ليسودها الخير ، فيضفي على الانسان شخصية كاملة جامعة متصلة بالحقيقة دائماً . ان الحقيقة واحدة غير متعددة ، وفي هذا لا شك ، وإلا لم نجد عندنا كل قوة او مظهر من مظاهر الانسان . كالمادة ، والقوة ، والمقولات ، وما يتصل بالروح من مطالب ، اذاً عندنا كل ناحية من هذه له حقيقة خاصة ثابت طبيعة وجوده ، وتهدمت ، لان الوحدة الذاتية التي فيها هي أساس لحقيقة واحدة تنتظم حياة — وقد أدرك الانسان منذ فجر الاول هذه الحقيقة ، في أمثلته ، وتخيلاته ، وشكوكه ، وبحوثه وعقائده . وأيقن ان هناك مركزاً لا نهائياً تنسب اليه كل الشخصيات ، او بعبارة أخرى ينتسب اليه عالم الحقيقة ، ذلك المركز اللانهائي هو الفرد الصمد والواحد الاعلى »

فتاجور كما نرى يبشر بتعاليم الهند تبشيراً صريحاً من طريق العقل والتفكير والوعي دون ان يتعرض كثيراً لذكر عقائد الهند من اسماء آلهة او مصطلحات ، وهو يفيض على هذه التعاليم روح الادب والفن ويضفي عليها جمالاً ، وهو مخلص كل الاخلاص لرسالة الهند ، لانه يؤمن بها ، ويعتقد انها رسالة العالم ومنقذة الانسانية

هذه الثقافة الروحية هي وحي تاجور المستكن في أدبه وفنه وفلسفته ومدرسته . ولقد استطاع ان يخرج من تعاليم « فيدانتا » كما خرج من تعاليم اليوبانيشاد صوراً شتى في الأدب والفلسفة والجمال كونت هذا الذخر الأدبي الخالد (١)

والفيدانتا كلمة من كلمات اللغة السنسكريتية القديمة معناها «حدود الروح» اشتملت على تعاليم مقدسة متصلة بتعاليم اليوبانيشاد وبهما يؤمن البراهمي ايماناً ما فيه شك — وفي الفيدانتا صور أدبية رائعة ألهمت تاجور بأخيلة عذبة صدرت عن نفس مؤمنة بها تمام الايمان . فالفيدانتا تقول (٢) :

« إن جسد الانسان هو مدينة الله براهما ، حيث يسكن في قلبه ، وأما ابواب هذه المدينة فهي البصر ، والشم ، والسمع ، والحواس الاخرى ، وأما ملك هذه المدينة المتوج فهو الروح »

وتقول الفيدانتا بوجود عالم داخلي للانسان :

« في مدينة براهما (٣) ثغر زهرة اللوتس الصغيرة ، مستقرة بها ، يحوطها فراغ قليل ، هو مجال للتفكير البشري كلما بحث عن الحقيقة ... وان الانسان ليدرك ان هذا الفراغ الضيق الواقع في شغاف قلبه ليس الا عالماً كبيراً منسحاً ، فالبحث والتفكير والتأمل — في هذا الفراغ تستقر الحقيقة ، من السماء ، والارض ، والنار ، والريح ، والشمس ، والقمر ، والبرق ، والنجوم ، — يستقر في هذا الفراغ حول قلب الانسان ، ما يعلم وما لم يعلم »

« في مدينة براهما يستقر كل شيء ، في صور من المعرفة والحق ، كما تستقر الرغبات ، ومطالب النفس ، والتفكير ، ونزعات الروح ، والوجدان . وتستقر الروح منزهة عن الشر ، باقية ، خالدة ، مجردة عن حدود الزمن ، زكية عن الشرور والاحزان ، بعيدة عن الظمأ ، والحقيقة متصلة بالحق دائماً ، ولكن تمتنى في مستقر الحق والتفكير والوجدان شهوات تلو شهوات ، وليس لها من داع إلا الله براهما ، يبعث اليها بنوره فيهديها صراطاً مستقيماً ، فيزول الشك ويحل اليقين والامن الروحي ، وينبثق جلال براهما نبعاً كريماً ، فتتجنب النفس نزعات الشر ، منعمة طيبة ، وتبرأ الروح من الوهن والمرض ، ويشرق النور متجلياً سرمدياً في قلب الانسان ، حيث تستقر المعرفة باقية خالدة »

وفي الفيدانتا تعليم يقول :

« أنا المطلق ، أنا كائن غير محدود ، أنا من كل لانهائيته في مولده ، وفي نهايته ، وفي عدد أنفاسه — انني أنا أعبد الكائن الخالد الباقي الذي لا يتغير

« لقد خلصت من الارادة ، فكانت تي الدنيا محدودة بقدر من إرادتي ، — إن ارادة الله كائنة في العقل ، مجسدة في الروح ، مصورة في الضوء ، وما أنا الا الحق فيما أبتغي ، فغيري في روحي . كائن في عقلي مجسد في ارادتي — أنا كائن مسخر في عمله ، وتفكيره ، وعلمه ، وشمه ، وسمعه ، وبصره ، وذوقه ، ولمسه ، ومنطقه »

« أنا لا أخفي ولا أظهر شيئاً — انما روحي حشاشة في سويداء قلبي ، صغيرة كحبة البر ، في لب نفس

(١) راجع مصادر شعر تاجور ص ١٨٠ وما بعدها المقتطف ج ٢ و ٣ م ١٠٠ للمحرر

(٢) النصوص التالية عن الدكتور براون أستاذ اللغات الهندية بجامعة لندن

(٣) كناية عن جسد الانسان

شف دقيق يحتوي الدنيا وما فيها ، من يبس وماء وسماء ، هي أكبر ما في الوجود ، هي أوسع من الارض وأوسع من السماوات ، هي دائبة في ادراكها ، متحركة ، عاملة ، ناصبة ، ذات ارادة ، تسمع ، وتعي وتحس ، وتتم ، وتذوق ، وتفيض على ناصية الحياة ، وهي على كل شيء قديرة ، هذه روحي في شغاف قلبي — هي أنا ، هي براهما ، منه واليه مرجعي وملاذي ، ونصرة ضميري واعتاذي ، واليه مصيري وآخري وعند الساعة ، ويومئذ أخلد في يقيني وإيماني » (١)

من أنا :

« القلب ، والعقل ، والوجدان ، والادراك ، والتمييز ، والذكاء ، والحكمة ، والرأي ، والعزم ، والفكر ، والفطنة ، والرغبة ، والذاكرة ، والتصور ، والقوة ، والحياة ، والارادة — إن هي إلا أسماء البصيرة — وتلك هي براهما ، جوهر القوى الفعالة في الوجود ، هي جوهر عناصر الكون الخمسة ، الارض والريح ، والأثير ، والماء ، والضوء ، وما عداها الا مخلوقات وان عظمت حقيرة لا عمل لها ، وهي وما يخرج من البيض والارحام ، من حيوان وانسان وطير وهوام وزواحف وكل ما ينفخ وتنفس ، دبّ أو سعى أو تحرك او جمد — كل هذه كائنات تسيرها البصيرة ، وأن العلم لجهول على البصيرة ، ولمدفوع بها ، وما البصيرة غير الله براهما ، الكائن في الانسان » (٢)

اعرف نفسك :

« أنا من ضم قلبي براهما فحتوى الكائنات ، وطوى الدنيا طي الكتاب — لا أراه ، لانه لا يُرى وان كان هو البصر ، ولا أسمعه لانه لا يسمع وان كان هو السمع ، ولا أحسه ، لانه لا يحس وان كان هو الحس ، ولا أمسه لانه لا يلمس وان كان هو اللمس ، أنا منه وهو في نفسي (٣) — هو سبيلي الى العالم أقفو أثره فأدرك العالم ولا أدركه هو ، هو المعبود كائنا فينا

أنا به وبذاتي كائن مطلق ، له ارادة ، وتفكير ، وحس ، وادراك ، وبصيرة
لا يساق البشر الى العبادة ، وانما يعبدون الله في أنفسهم وفي ذواتهم يدركون الحق »

وفي الحق اني لا استطيع ان ألم بجميع ما جاء بأسفار مقدسة حوت ديناً وتعاليم يعتنقها ملايين من اخواننا الشرقيين ولا استطيع ان ألخص أسرار هذه العقائد ، لاني اخشى الزلل ، ولاني لا أجد فسحة في هذا الكتاب أوسع مما وسع لي ، ولكني استطيع ان أقرر مما اقتبست ان البراهمي رجل مؤمن بالله والوحدانية في معناها ، وفي أصولها ، وانه وان كان يعد شخصيته كمّا مهملاً لا عمل له ، الا انه يرى شخصيته كلّ شيء في العالم وانها مصدر الحركة والسكون والتفكير ، والعمل ، والادراك والقدرة ، حتى آمن بأن الله قد حل في نفسه ، وألهمه الخير ، والصواب ، والتوجيه الحق ، على انني ما قصدت بهذا الا ان أعرف مدى تأثير هذه العقائد السامية في أدب تاجور وفلسفته ومدرسته — ان تاجور أديب وشاعر وفيلسوف انساني

---

(١) عن النسخة الثانية Chhandogya من اليوبانيشد

(٢) عن النسخة الرابعة Aitarey من اليوبانيشد

(٣) في حديث البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب اليّ عبدي بشيء أحب اليّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه . البخاري

لانه استمد عناصر الادب العالمي والفلسفة العالية من روح دينه التي توحي اليه بأن يكون خيّراً محبًّا للبشر ملهماً في حركاته وسكونه بالهام من الله سبحانه

وتاجور يعتقد ان من عرف نفسه فقد عرف الله[1] لان الله يدعونا ان نعرف أنفسنا، وان نفكر في ذواتنا، لتخرج قدرته ونؤمن بقوته . وإدراك الفرد لشخصيته هو أساس لفهم العالم، ويقول تاجور في هذا

« ان شخصيتنا هي أول حق فينا ؛ ومعرفتنا لانفسنا سرٌّ »

لان تاجور براهمي مؤمن، فهو لم يبتدع هذه الفلسفة ولكنهُ يبشر بها عن يقين ثابت في قلبه، ويخلص لها الاخلاص كله . ولهذا أثرت العقيدة في ادب تاجور تأثيراً واضحاً

وفي حدود هذه الأسس العليا تنهض مدرسة تاجور وتقوم تعاليمه، وتدعو الاتباع الى ادراك ما في النفس البشرية من أسرار، وما في الانسان من قوى متصلة بالعالم . ومحاضرات تاجور ترمي جميعها الى الوحدة الروحية. وهو يقارن بين المدنية الشرقية واصول المدنية الغربية مقارنة فريدة يرد بها كل مدنية الى اصولها فيقول :

« لقد نمت المدنية الاغريقية القديمة بين الجدر وأسوار المدينة، وكذلك نشأت المدينات الحديثة داخل المدينة، بينما قد نشأت مدنية الهند القديمة في آفاق واسعة غير محدودة، فقد نشأت في الغابات ؛ وقد منحتها هذه الغابات السلامة والمأوى . ولهذا كان لمدنيتنا طابعها الذي تمتاز به، إنها تحيط بحياة روحية من الطبيعة نهي التي تغذيها، وتخلع عليها لباسها وروعتها ؛ وتحدد لها مدى التفكير والنظر في الاشياء التي تحيط بنا

وقد يظن ان مثل هذه الحياة المحدودة بالطبيعة تميل بالذكاء الانساني الى الركود ؛ وتنأى به عن بواعث النجاح، وتحد من تأثيره، بخفض المستوى الفكري للحياة، ولكنا وجدنا ان الهند القديمة لم تتغلب عليها ظروف الحياة التي أوجبتها نظم الغابات ؛ ثم يقهر تفكير الانسان، ولم يضعف نشاطه حتى ما تدعو اليه الغابة من نظر قد يكون محدوداً — ان الذي وقع هو ان الغابة قد وجهت التفكير وجهة خاصة. ولما كان على الانسان ان يكون متصلا بالنمو الحيوي للطبيعة التي حوله، أصبح عقله حراً طليقاً ؛ غير عنيد بارعة في أن يعد مشكلاته ويحددها بينما الاسوار والحدود للمدينة ؛ ليحصر مشكلاته في حوزة هذه الاسوار. فليست رغبة الشرق في التملك والمبارزة، ولكن كانت رغبته في فهم الاشياء ؛ وادراك حقيقتها . وتوسيع نفوذ شعوره عليها . بأن يشعر هذا الضمير نمواً متصلا بالسماع آفاق الطبيعة التي تحيط بهذا الانسان ؛ وشعر بأن الخلق هو ادراك شامل للكائنات ؛ وان التفرد المطلق لا يشبه شيء في الوجود . وان السبيل الوحيد الوصول الى الحق انما بالنسبة نوسعنا الى الاشياء لندرك كنهها . ولقد كان ادراك هذا الانسجام بين روح الفرد وروح العالم هو الجهد الذي بذله حكماء الهند القديمة منذ سكنوا الغابات» (٢) (البحث تتمة)

---

(١) ذكرت عبادة الله في ايم ايوبا يشاد على أنه عبادة النفس باعتبارها كائناً مطلقاً لا نهاية له ولا اختيار وعلى اعتبار ان الله « براهما » هو ذلك «الكل» الذي تملك نفسية النفس والذي تدرك نشأتها ونهايتها وتغلبه والهامات جميعاً . ولهذا وجب على الانسان ان يعبدها في طمأنينة وسكون وأمن ورضى — تم جاءت تعاليم شنكارا فسرت ما جاء في اليوبا نيشاد بأنه ما دام ان الله هو الحق المتصرف في النفس الذي يهيمن على جانب منها فوجب اذن على الانسان ان يدرك الله في نفسه وان يعبده من المعبود من العبادة هو وجه الله وحده باعتباره النفس القدير . انظر فقرة ٢٢ ص ٤٧ من كتاب Brahman Knowledge تأليف Barnett

(٢) الفصل الاول من كتاب سعدهنا « علاقة الفرد بالعالم »